سليلة الاحقاب

للعلامة الشيخ عبد الحميد السماوي

خص بها مجلة البيان

سيري بموكبك المنضد سيري ... فلقد غلا بالنور افق النور
ولقد تجلى الله فوق شعاعك الـ ... ـهادي فكلمنا بغير سفير
فالدهر بين يدي ركابك جاثم ... والكون تحت لوائك المنشور
سجدت لمطلعك العوالم وانحنت ... لجلال هيبتك ابنة الديجور
سيري فما يدريك مايلد القضا ... وتجول فيه يراعة التقدير
فالمرء للارماس منها استعصمت ... ادواره والشمس للتكوير
فلقد تداعى عرش طاغية الدجى ... وهوت دعامة بيته المعمور
ومحا صحيفته الزمان فلم يدع ... الا بقايا احرف وسطور

***

اسليلة الاحقاب قد طفحت على ... قسمات وجهك دهشة المذعور
اعراك مايعرو الوجود من الاسى ... وشجاك ما يشجي من التغيير؟
جحت عناصرك الخلود وانما ... تتدحرجين الى فناً ودثور
فقفي اذا اسطعت الوقوف وحدثي ... ما في خلايا كونك المغمور
ما اروع الصور التي تطفو على ... وجه الاثير وابرع التصوير
فلقد ترامى العقل نحوك فاتنى ... متخادل الهمسات كالمسحور
وتكادمت فيك الظنون فراعها ... ما راع من صنع ومن تدبير

***

تقف الحوادث نصب عينك برهة ... وتخب نحو الصور بنت الصور
حتى اذا انصلت القضاء بحادث ... كالسيف تصلته يد الموتور
جلى ابن طه فوق كاهل طرفه ... فاراك فوق الطور نار الطور
وأراك كيف يثور عاهل هاشم ... غضباً لوجه العدل والدستور
حتى اذا ادى رسالته هوى ... جذلان ملتحفاً بكل وثير
ماذا تريد به المنون وانما ... هي نهلة من بارد مقرور

***

ولرب قائلة وقد مسح الاسى ... وجهي برائعة من المقدور
مالي اراك ابا البيان مقطباً ... وبني ابيك بغبطة وسرور
فاجبتها وقد استفز حديثها ... فحوى حديث غامض التفسير
ايها امنيم فان بين صوامت الآ ... لام ما يغني عن التعبير
انا مثل قومي لو حبست مشاعري ... وخدعت في معنى الحياة ضميري
قد كنت مبتهجاً كاشاء الهوى ... فجنت علي مداركي وشعوري
ماراق لي التفكير لكن لم اطق ... ارجاءه الا الى تفكير
ما كنت اختار الشقاء بنظرة ... فيها تزاحم مصدري ومصيري
قطعت مجاهيل الحياة وجهجهت ... لتزود مطلع عالم مستور
سلخت عن اللب القشور واصحرت ... للعقل عارية بغير قشور
وتألقت لي في الظلام وهل ترى ... غير الظلام يشق افق النور؟

***

ما اسعد الرجل الذي ازدلفت له ... صور الحياة تخب فوق الكور
لم يله عن ذكر المرابع والحمى ... إلا بذكر شويهة وبعير
نشوان طول الدهر يسمع نفسه ... مدح الفرزدق من هجاء جرير
تهب الطبيعة ما يشاء فتنجلي ... خضراؤها عن سندس وحرير
فيرى الوجود كما يشاء خياله ... ما بين مهبط روضة وغدير
ويرى رعاة الحي خلف بيوتهم ... جاثين بين جلامد وصخور
يتهامسون فلا يشق حديثهم ... بعد الصدى الا رغاء العير

***

أحمامة العقل المقدس حاقي ... فوق الاثير بنا خبير اثير
فلقد خلا الوادي فتلك ماؤه ... جرداء من صقر ومن عصفور
كم تسجعين امام جيل لم يزل ... تجني عليه عوامل التأثير
لك رعشة المقرور في الكون الذي ... طفحت عليه نفثة المصدور
طيري فقد ازف الصباح وربما ... بسط الصباح جناحه لتطيري
ولربما وقف الطليق معبراً ... عما يجول بخاطر المأسور
كم حرة للوحي شق حجابها ... بغي الامير وقسوة المأمور
ضربت عليها الحادثات رواقها ... فبدت وراء اكلة وستور
تملي على الاجيال مايملي لها الـ ... ـحدثان من ذل ومن تحقير
اتبات آل الله في ذل السبا ... وتبات آل اميلة بحبور
ذهبت تطبل بالبشائر بعد ان ... ذهب الحسين ضحية التبشير

السماوه — عبد الحميد السماوي